

تَحِيَّةٌ إِلَى الشَّيْخِ حَزَامِ رَحِمَهُ اللهُ

(قيلت في رثاء الشيخ حزام بن علي البهلوي رحمه الله الداعية المجاهد الذي استشهد شاباً - كما

نحسبه - وهو من زملاء الشاعر في الدراسة بمعهد القضاء بصنعاء)

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

طَلَعَ الصَّبَاحُ فَكَانَ نُورُكَ أَحْسَنًا وَنَأَى الدُّجَى^١ لَمَّا دَنَوْتُ فَمَا دَنَا
يَا حَبْدًا سَيِّمًا^٢ الخُشُوعِ وَقَدْ غَدَتِ نُورًا عَلَيْكَ مِنَ العِبَادَةِ مُعَلَّنَا
جَاهَدْتَ فِي الرَّحْمَنِ حَقَّ جِهَادِهِ فِي ظَنَّنَا مِنْ دُونِنَا وَسَبَقْتَنَا
آثَرْتَ خَوْفَ اللهِ فِي الدُّنْيَا عَسَى تَلْقَى بِهِ يَوْمَ المَخَافَةِ مَأْمَنَا
اللهُ يَعْلَمُ كَمْ وَقَفْتَ مُصَلِّيًا وَسَكَبْتَ فِي الأَسْحَارِ^٣ دَمْعًا أَسْخَنَا
أَضْنَيْتَ نَفْسَكَ بِالصِّيَامِ تَسْوُسُهَا حَتَّى تَدَاوَتْ بِالصِّيَامِ مِنَ الضَّنَاءِ^٤
وَشَفَيْتَهَا بِالصَّبْرِ مِنْ دَاءِ الهَوَى وَرَقَيْتَ فِي دَرَجِ العُلَا نَحْوَ المُنَى
وَبَذَلْتَ طِبَّكَ لِلْقُلُوبِ فَأَقْبَلَتْ عَطَشَى لِتَنْهَلَ مِنْ سَنَانِكَ وَالسَّنَاءِ^٥

١ الدُّجَى : الظلام .

٢ سيما : علامة .

٣ الأَسْحَار : جمع سَحَر ، والسَحَر آخر الليل .

٤ الضَّنَاءُ : التعب ، أَضْنَيْتَ : أضعُبت .

٥ السَّنَاءُ : بالهمز : الرقعة ، والسَّنَاءُ بدون همز : الضيَاء .

وَبَلَغْتَ فِي الْإِكْرَامِ شَأُؤًا بَيْنًا^١

مَا زِلْتِ فِي إِعْدَادِهَا مُتَفَنِّئًا

وَتُلَقِّنُ الْإِحْسَانَ أَرْبَابَ الْغَنَى

أَنَّ الْمُجَاهِدَ لَا يَشِيحُ^٣ بِمَا أَقْتَنَى

هَيْهَاتَ يَغْزُو الشُّحُّ شَيْئًا أَدُونًا^٤

فَتَحَ الْقُلُوبَ وَحَازَ فِيهَا مَسْكَنَا

كُنْتَ النَّمُودَجَ حِينَ كُنْتَ لَهُ هُنَا

فَقَدَ الْمُرَبِّيَ وَالْخَطِيبَ الْأَلْسَنَا

صَلَّى عَلَيْكَ وَقَدْ رَأَىكَ مُكْفَنًا

وَالْحُزْنَ يُكْتَسِفُ الرُّبَى وَالْمُنْحَنَى^٥

أَوْ صَافِحْتِكَ عَلَى الرَّبُوعِ مُؤَذِّنًا

عَمَّرتَ دَارَكَ بِالضَّيَافَةِ وَالتَّقَى

فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلْإِخَاءِ وَلِئِمَّة^٢

مَا زِلْتِ تُنْفِقُ وَالِدِيُونَ كَثِيرَةً

حَتَّى اسْتَفَاضَتْ مِنْ رَحِيلِكَ حِكْمَةً

أَنَّ الْمُجَاهِدَ لَا يَشِيحُ بِرُوحِهِ

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ تَقَى قَانِتِ

خَلَفْتَ فِي صَنْعَاءَ جَمْعًا بَاكِيًا

تَرْتِي الْخَطَابَةَ فِي وَدَاعِكَ مِنْبَرًا

وَالْحَلْقَةَ الشُّكْلَى نَعْتِكَ وَمَسْجِدًا

تَبْكِي عَلَيْكَ الرَّاسِيَاتُ وَفِيؤُهَا

كَمْ عَانَقَتْكَ مَعَ الدُّعَاةِ مُسَافِرًا

١ شَأُؤًا بَيْنًا : مسافة ظاهرة.

٢ وِئِمَّة : ضيافة .

٣ لَا يَشِيحُ : لَا يَبْخُلُ ، وَالشُّحُّ : الْبُخْلُ .

٤ أَدُونًا : أَي أَلْفٌ .

٥ الرَّاسِيَاتُ : الْجِبَالُ ، فِئُؤُهَا : ظِلَالُهَا ، الرُّبَى : الْأَمَاكِنُ الْمُرْتَفِعَةُ ، الْمُنْحَنَى : مَا كَانَ مُنْحَفًّا مِنَ الْأَمَاكِنُ .

يَا قَوْمِ هُبُّوا فَالْجِهَادُ تَعِينَا

يَا لَيْتَ أَنَّكَ قَدْ بَقَيْتَ هُنَا لَنَا

حَتَّى كَأَنَّكَ بَعْدَ يَوْمِكَ بَيْنَنَا

مَنْ لِي بِعَاطِفَةِ الْإِخْوَاءِ لِتَوْفِينَا؟

فَإِذَا التَّقَاتُ تَخْتَارُ مِثْلَكَ مَوْطِنَا!

تُهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْأَحْبَابِ فِي الدُّنْيَا

بِرُؤْيِ الْمَنَامِ إِذَا سَمِعْتَ وَأَمَكْنَا

فِيمَا حَسِبْنَا يَا حِزَامُ فَلْيَتَنَا!

لَفَقِيدِنَا وَشَهَادَةَ فِي ظَنِّنَا

أَشْرَقَتْ بِشَرًّا وَاحْتَفَلَتْ تَيْمُنَا

إِنَّ الْإِفَامَةَ فِي الْجَنَانِ لِمَنْ بَنَى

كَمْ رَدَّدَتْ أَصْدَاءُ^١ صَوْتِكَ صَارِحًا

يَا حَافِظًا نَصَّ الْكِتَابِ وَمِثْلَهُ^٢

حَيْثُ انْتَفَتْ ظَنَنْتُ شَخْصَكَ مُقْبِلًا

تَرْتَابُ عَاطِفَتِي بِكَوْنِكَ رَاحِلًا

غُرَّرُ الشَّمَائِلِ^٣ فِي الْكِرَامِ تَفَرَّقَتْ

يَا طَلْعَةَ الْمَثَلِ الْقَرِيبِ تَحِيَّةً

إِنَّا لَنَنْتَظِرُ الْجَوَابَ فَحِينًا

لَيْتَ رَبِّكَ يَا حِزَامُ مُجَاهِدًا

إِنَّ التَّرْحُلَ^٤ بِالرِّصَاصَةِ مَنَحَةً

حِينَ اسْتَبَقَرَتْ فِي فُؤَادِكَ بَعْتَةً

فِي ذِمَّةِ الرَّحْمَنِ أَنْتَ وَحِفْظِهِ

* * *

١ أَصْدَاءُ : جَمْعُ صَدَى هُوَ رَجْعُ الصَّوْتِ .
٢ وَمِثْلُهُ : أَيِ السُّنَّةِ ، وَقَدْ كَانَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ وَلكَثِيرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ .
٣ غُرَّرُ الشَّمَائِلِ : أَيِ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ .
٤ الدُّنْيَا : جَمْعُ دُنْيَا .
٥ فَلْيَتَنَا : أَيِ لِيَتَنَا مِثْلَكَ .
٦ التَّرْحُلُ : الْمَقْصُودُ خُرُوجُهُ مِنَ الدُّنْيَا .